أشهر الملاحدة وعقدهم النفسية

١ – فرويد والإلحاد:

نظر فرويد إلى الإيمان بالإله باعتباره «توهم» يسعى لتحقيق رغبات طفولية لا واعية تبحث عن الأمان، وهذا الطرح لفرويد يفتح الباب على مصراعيه لمناقشة الاستعداد النفسي والعصبي لتبني الإلحاد، لقد استدرج فرويد إلى ذلك دون أن يقصد وربما دون أن يدري.

لذلك لا يمكننا أن ننطلق في دراسة النظريات الجديدة في علم النفس والتي تتناول الأسباب النفسية للإلحاد دون أن نتبين في البداية كيف أن نفس الأسس التي انطلق منها فرويد لتفسير الإيمان تقودنا إلى ما يمكن أن نسميه نظرية فرويد لتفسير الإلحاد والتي تدور مثل الإيمان تمامًا حول أن «الإلحاد تحقيق للرغبات الأوروبية».

كذلك إذا كان فرويد قد طرح «نظرية الإسقاط لتفسير الإيمان بالإله «فإنه مهد لطرح «نظرية الإسقاط لتفسير الإلحاد» ومن ثم لا مبرر لغضب الملاحدة عندما نتبنى القول بالأصول النفسية والعصبية للإلحاد ففرويد هو أول من فعلها، لكن في الاتجاه المعاكس

– عقدة أوديب:

كان القول بعقدة أوديب هو المساهمة الجوهرية الثانية لفرويد بعد مفهوم اللاوعي(subcomiousmess) في علم النفس، بغض النظر عن صوابها أو خطأها.

ويتبنى فرويد أن عقدة أوديب تتكون في أثناء مراحل تشكيل شخصية الطفل الذكر على النحو التالي:

تقريبًا في سن الثالثة، تنشأ لدى الطفل رغبة جنسية شديدة تجاه أمه،

تصاحبها كراهية وخوف شديدان من أبيه، ورغبة في الحلول محله تطلعًا إلى السلطة، وترجع هذه المشاعر إلى أن الأب بقوته ومنزلته يقف في طريق تحقيق رغبة الطفل في أمه، ويزداد خوف الطفل من أبيه بسبب توهمه أن أباه قد يخصيه ليتخلص من منافسته.

إن حل العقدة كما يرى فرويد هو تسليم الطفل بمحدودية قدراته وعجزه عن التخلص من أبيه، عندها يتقمص الطفل شخصية أبيه الباطن ويكتب عنصر الرعب الأصيل في العقدة.

ويتم حل العقدة بشكل جزئي تقريبًا عند سن الخامسة.

وتبعًا لفرويد، فإن عقدة أوديب لا يمكن أن تحل تمامًا، لذلك تنشط في فترات لاحقة أهمها دون شك فترة البلوغ، ومن ثم يظل الكُره القاتل والرغبات الجنسية في المحارم مخيم على الأسرة لكنهما يكبتان، وبين فرويد العواقب العصبية لهذا الكبت قائلًا: «إن عقدة أوديب هي جوهر العصاب (Neurosis) اضطراب عصبي وظيفي.

وإذا كانت عقدة أوديب لا تظهر بشكل فرضي في معظم الأحيان، فإنها تعبر عن نفسها في سلوكنا برفض السلطة الأعلى، وكذلك تجد لها منفثًا في الأحلام وسقطات اللسان وبعض سلوكياتنا العابرة غير المنطقية وغير المبررة.

- الإلحاد وعقدة أوديب:

تقدم عقدة أوديب أرضية مثالية لرفض الإله كأحد مظاهر تحقيق الرغبات (Wish fulfillment) فإذا كانت هذه العقدة اللاشعورية تنشأ في الصغار كتعبير عن كراهية الأب والرغبة في أن يختفي بل والرغبة في قتله فإن فرويد ينتقل منها إلى الإله الذي يعتبره المعادل النفسي للأب ومن هنا تنشأ الرغبة القوية في ألا يوجد إله.

ومن ثَم فالإلحاد انطلاقًا من مفاهيم فرويد توهم سببه الرغبة الأوديبية لقتل الأب والحلول محله، ويعتبر فرويد أن ما نراه في أحلامنا من صورة الأب تتلاشى هي تعبير عن رغبتنا في قتله ويعادلها قول نيتشه: «الإله قد مات»، إنه مثال تطبيقي صارخ لتحقيق الرغبات.

وكما تفسر عقدة أوديب الإلحاد والشك، فإنها تفسر السلوك الجنسي للملاحدة والشكاكين فبعضهم يستبيح كل أشكال الجنس كتعويض عن الجنس المحرم مع الأم، ويكون ذلك عادة مصحوبًا بنرجسية صارخة تعوض شبقه للسلطة التي حرمه منها الأب.

كذلك يظهر باقي مكونات عقدة أوديب في الإلحاد المعاصر من خلال استبدال الإنسان بالإله فيصبح الإله هو السوبرمان (نيتشه) ويصبح هو مصدر المفاهيم الأخلاقية وصاحب القوة المطلقة الذي لا يعجزه شيء لذلك تمجد الفلسفات المعروفة بـ الإنسانية (Humanistic Philosophy) الإنسان وقدراته تمامًا مثلما يفعل المتدينون مع الإله.

لقد انحدرنا من الإله الواحد في فجر البشرية إلى تعدد الآلهة، ثم ارتقينا إلى التوحيد المطلق مع الديانات الإبراهيمية، ثم ارتكسنا إلى الإله في كل واحد، إن الملحد يحاول بذلك من خلال شبقه لتحقيق رغباته ومن خلال نرجسيته أن يحقق ما فشل فيه إبليس أن يجلس على عرش الإله.

(٢) فولتير:

يعتبر فيلسوف الاستنارة الفرنسي فولتير مثالًا جيدًا عند فرويد لدوافع أوديب، فقد كان شكاكًا رافضًا لكل ما يتعلق بالدين وخاصة الإله كأب كما تقدمه المسيحية كما كان ناقمًا على السلطة السياسية والاجتماعية للكنيسة الكاثوليكية. كذلك كان فولتير ملحدًا، وإن كان البعض يعتبره ربوبيًّا يقبل الإله غير المتشخص.

وإذا راجعنا سيرة فولتير نجد من أهم ملامحها رفضه لأبيه إذ رفض اسمه الحقيقي وتسمى باسم (Voltaire)الذي لا نعرف مصدره وقد يكون مركبًا من حروف اسم عائلة أمه وقد يرجع موقف فولتير هذا لسببين:

السبب الأول: رغبته في الانتساب لطبقة اجتماعية أعلى فكان يروج أنه ليس ابن أبيه بل ابن نبيل من النبلاء.

السبب الثاني: خلافه الدائم مع أبيه ليضيق الأب من انشغال ابنه بعالم الخطابات (الكتابة) عن عالم المحاماة، لذلك لم يذكره فولتير بشيء طيب على الإطلاق.

وفي عام ١٧١٨ نشر فولتير مسرحية «أوديب» التي كانت أول مسرحياته التي تقدم للجماهير وتمزج المسرحية قصة «أوديب» الحقيقية برفض الديانات واعتبارها توهمات، كما كانت المسرحية أيضًا مليئة بالتمرد السياسي، وبذلك تجتمع في حيرة فولتير عدة عناصر تعكس عقدة أوديب: رفضه أبيه، ورفضه للملك، ورفضه للإله، وبناء على تحليل فرويد فإن موقف فولتير الإلحادي لم يكن نتاج عملية عقلية منطقية لكن تحقيق لرغبة أوديب.